

أعزائي المستمعين الكرام موضوع حلقتنا اليوم من برنامجنا حكم وأمثال من الكتاب المقدس هو القبر الفارغ.

يسوع هو أعظم معلم عرفه الإنسانية. إصطفي إثنى عشر من صحابته أسماهم «تلاميذ» وأخذ يعلمهم ويدربهم. وكانت دعوته دائماً تعلموا مني. وقد قبل على نفسه أن يدعوه الناس «يا معلم». وخطبـه أحـكم مشـايخ اليـهود وأغـزـرـهـمـ تقـافـةـ بـقولـهـ: «نـحنـ نـعـلـمـ أـنـكـ مـعـلـمـ مـرـسـلـ مـنـ اللهـ». وكانت رسـالتـهـ الـوـدـاعـيـةـ لـأـتـبـاعـهـ وـأـنـصـارـهـ «اـذـهـبـواـ إـلـىـ الـعـالـمـ أـجـمـعـ وـاـكـرـزـوـ بـالـإـنـجـيـلـ... عـلـمـوـهـمـ أـنـ يـحـفـظـوـاـ جـمـيـعـ مـاـ أـوـصـيـتـمـ بـهـ» (مرقس 16: 15، متى 28: 20).

وكانت تعاليمه فريدة في ذاتها، لا مثيل لها بين أصحاب الدعاوى الدينية الأخرى، لأنـهـ قـرنـ تعـالـيمـ بـنـفـسـهـ «بـدـونـيـ لـاـ تـقـدـرـونـ أـنـ تـفـعـلـوـاـ شـيـئـاـ» (يوحـنا 15: 5). وأنـهـ لمـرـوـقـ عنـ جـادـةـ الصـوـابـ وـخـرـوجـ عنـ الـدـيـنـ الـحـقـ، إـذـاـ نـحـنـ أـخـذـنـ مـبـادـئـ الـمـسـيـحـ وـتـعـالـيمـهـ. وـتـجـاهـلـنـاـ ذـاتـهـ وـحـيـاتـهـ.

ذلك لأنـ تعـالـيمـهـ لـمـ تـكـنـ مـقـتـصـرـةـ عـلـىـ الـأـقـوـالـ الـتـيـ نـطـقـ بـهـاـ، فـحـيـاتـهـ وـمـوـتـهـ وـقـيـامـتـهـ كـانـتـ تعـالـيمـ رـائـعـةـ. وـقـدـ تـضـمـنـتـ تعـالـيمـهـ صـفـاتـهـ الـمـعـصـومـةـ عـنـ الـخـطـأـ، وـأـعـمـالـ الـرـحـمـةـ وـالـشـفـاءـ الـتـيـ أـتـاـهـاـ، وـتـضـحـيـتـهـ الـفـدـائـيـةـ الـتـيـ بـذـلـهـاـ، وـقـيـامـتـهـ الـمـجـيـدـةـ الـتـيـ إـنـتـصـرـ فـيـهـاـ. لـقـدـ عـلـمـ عـلـىـ مـقـتضـىـ مـاـ عـاـشـ بـهـ عـمـلاـ، وـمـاـ إـنـفـرـجـتـ عـنـ شـفـتـاهـ قـوـلـاـ...ـ

والحق، إنـ الرـسـلـ وـالـأـتـبـاعـ لـمـ يـفـتـنـوـ الـمـسـكـونـةـ بـإـذـاعـةـ الـمـوـعـظـةـ عـلـىـ الـجـبـلـ، بـلـ أـذـاعـوـاـ أـوـلـاـ نـبـأـ قـيـامـتـهـ، وـمـاـ عـدـاـ ذـلـكـ كـانـ ثـانـوـيـاـ...

وـذـلـكـ الـمـعـلـمـ الـأـعـظـمـ يـسـوـعـ لـمـ يـسـطـرـ مـخـطـوـطـاـ، وـلـمـ يـكـتـبـ نـصـوـصـاـ، وـلـمـ يـصـنـفـ كـتـابـاـ، وـلـمـ يـبـعـثـ بـرـسـالـةـ، وـلـمـ يـنـقـشـ عـلـىـ الـحـجـرـ عـبـارـةـ...ـ بـلـ قـدـ غـرـسـ بـذـورـ أـقـوـالـهـ فـيـ قـلـوبـ وـعـقـولـ وـضـمـائـرـ قـلـةـ مـنـ أـتـبـاعـهـ الـمـوـالـيـنـ لـهـ. وـمـعـ ذـلـكـ أـعـلـنـ فـيـ يـقـيـنـ رـاسـخـ: «أـلـسـمـاءـ وـالـأـرـضـ تـزـوـلـانـ وـلـكـنـ كـلـأـمـيـ لـاـ يـزـوـلـ» (متـى 24: 35).

كـانـتـ تعـالـيمـهـ مـنـ الـحـيـاةـ لـلـحـيـاةـ. لـذـلـكـ عـلـمـ عـنـ الـبـئـرـ فـيـ سـاعـةـ الـظـهـيرـةـ، لـيـعـينـ إـمـرـأـ خـاطـئـةـ كـانـتـ فـيـ نـزـاعـ مـعـ زـوـجـهـ الـخـامـسـ! وـعـلـمـ فـوـقـ الـجـبـلـ، وـعـلـىـ سـطـوـحـ الـمـنـازـلـ فـيـ الـلـيـلـ، وـتـحـتـ ظـلـالـ أـشـجـارـ الـزـيـتونـ فـيـ الـبـسـتـانـ، وـفـيـ الـطـرـقـاتـ الـضـيـقـةـ بـيـنـ حـقـولـ الـحـنـطةـ، وـمـنـ فـوـقـ سـفـينـةـ صـيـادـ، وـوـسـطـ زـنـابـقـ الـحـقـلـ الـتـيـ رـصـعـتـ مـرـوـجـ الـجـلـيلـ وـسـهـولـهـ...

عـلـمـ عـنـ الـخـلـودـ عـنـ قـبـرـ مـفـتوـحـ، يـوـمـ أـعـادـ أـخـاـ مـيـتاـ عـزـيزـاـ عـلـىـ أـخـتـيـهـ الـمـفـجـوـعـيـنـ. وـعـلـمـ عـنـ شـفـقـةـ اللـهـ وـرـعـاـيـتـهـ يـوـمـ شـهـدـ عـصـفـورـاـ صـغـيـرـاـ يـسـقطـ عـلـىـ تـرـابـ الـأـرـضـ فـيـ طـرـيقـ عـامـ.

وـعـلـمـ عـنـ إـيمـانـ وـإـتـكـالـ عـلـىـ اللـهـ مـنـ مـؤـخـرـةـ سـفـينـةـ وـسـطـ عـاصـفـةـ عـاتـيـةـ. وـعـلـمـ عـنـ الـعـطـفـ وـالـحـنـانـ بـدـمـوعـهـ السـاخـنـةـ الـتـيـ سـكـبـهاـ يـوـمـ أـلـقـىـ نـظـرةـ الـوـادـعـ عـلـىـ أـبـرـاجـ وـقـبـابـ الـمـدـيـنـةـ الـتـيـ رـامـ خـلـاصـهـ.

وـكـانـتـ لـهـ طـرـيقـتـهـ الـخـاصـةـ فـيـ التـعـلـيمـ فـلـمـ يـجـدـ مـسـاسـاـ بـكـرامـتـهـ فـيـ أـقـلـ مـسـتـوـىـ فـيـ الـبـسـاطـةـ وـالـسـداـجـةـ. وـلـمـ يـخـشـيـ أـبـداـ أـنـ يـمـثـلـ الـحـقـ بـالـأـشـيـاءـ الـعـادـيـةـ وـالـأـوضـاعـ الـمـأـلـوـفـةـ فـيـ حـيـاةـ النـاسـ. فـلـقـدـ تـكـلـمـ فـيـ مـنـتـهـيـ الـبـسـاطـةـ، وـفـيـ ذـرـوـةـ مـنـ السـمـوـ عـنـ رـغـيفـ الـخـبـزـ، وـكـأـسـ الـمـاءـ الـبـارـدـ، وـقـطـعـةـ الـنـقـودـ الـمـفـقـودـةـ، وـحـبـةـ الـخـرـدـلـ الـصـغـيـرـةـ، وـخـمـيرـةـ فـيـ عـجـينـ الـمـرـأـةـ، وـالـخـرـوفـ الـضـالـ، وـالـكـرـمـةـ وـأـغـصـانـهـاـ، وـإـبـنـ الـضـالـ، وـالـطـرـيقـ الـضـيـقـ، وـثـعـالـبـ الـأـرـضـ وـطـيـورـ السـمـاءـ، وـأـزـهـارـ الـحـقـلـ، وـالـمـصـابـيـحـ...ـ بـلـ قـدـ إـسـتـخـدـمـ أـشـيـاءـ

أخرى أبسط من هذه في تعاليمه مثل ثقب الإبرة، والشوك، والجارة، واللصوص، والتبن، والريح.

لكن أين تعاليمه منا اليوم؟ تعنى كل حكومات العالم بحفظ وثائقها وأوراقها في أقبية من الصلب لا تمتد إليها يد التخريب والتدمير... ويعنى كل المعلمين والساسة بحفظ أقوالهم للأجيال القادمة بشتى الوسائل...

أما ذلك المعلم الأعظم فقد وثق، إنه لا الزمن ولا السوس ولا الصدأ، ولا يد الإنسان المخربة، تقدر أن تمتد بسوء إلى أقواله. ولم يشيد أقبية من الصلب لصيانتها، لأنه علم أن السيارات والكواكب سوف تذوب، وتزول من فضاء الكون، وتبقى أقواله حالة على الزمن، لأن فيها الحق والحياة.

لقد ألقى أقواله في الفضاء، فلم تدونها آلات التسجيل، ولكن حفظتها قلوب فئة مستضعفة من الناس، وهي اليوم أقدس ما تعية ذاكرات البشر من كل الأجناس والألوان والطبقات، في أرجاء العالم بكل لغات الأرض.

من الخواص البارزة التي إمتازت بها تعاليمه عن سواه من أصحاب الأديان الأخرى، أنه جسمها في ذاته وعبر عنها مجلوة صافية في حياته فحين قال «أحِبُّوْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا»، أردف هذه العبارة بقوله «كَمَا أَحِبْبَتُكُمْ أَنَا» (يوحنا 13: 34). وحين تكلم عن التواضع، مثله عملياً في تنازله وغسل أرجل تلاميذه. وحين تحدث عن الصبر، قيل عنه أنه «إِذْ شُتُّتْ لَمْ يَكُنْ يَشْتُتُ عَوْضًا» (1 بطرس 2: 23). وحين قال: صلوا من أجل أعدائكم والذين يسيئون إليكم، سمعناه يقول وهو معلق على الصليب: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لوقا 23: 34) ويوم قال: «آمَنُوا بِاللَّهِ» (تيطس 3: 8). أضاف «أَلَذِي رَأَيْ فَقَدْ رَأَى الْأَبَ» (يوحنا 14: 9).

كلمةأخيرة: إن الذي يعلمنا إياه، ويأمرنا به، يقترن دائمًا بالقوة على أدائه، والحكمة لفهمه والنعمـة لإتمامـه. لأن هذا المعلم «حي» في السماء حتى اليوم، بل حـي فيـنا، وروحـه تسـند جـهودـنا الـوضـيعة عـلى الـأرـضـ، وتشـفع بـنا فـي السـماءـ...

«هـا أـنـا مـعـكـمْ كـلـ الـأـيـامـ إـلـى النـقـضـاءـ الدـهـرـ» (متـى 28: 20). هـكـذا قال مـعلمـنا الأـكـبـرـ، ساعـةـ الـوـداعـ!

يطـيبـ ليـ انـ اـقولـ لـكـلـ وـاحـدـ مـنـكـمـ فـيـ هـذـاـ العـيـدـ عـيـدـ الـقيـامـةـ الـمجـيـدـةـ كـلـ عـامـ وـأـنـتـمـ بـخـيرـ وـالـوطـنـ بـأـلـفـ خـيرـ.